

روح المعاني

جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت أممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وهي قراءة حفص والأخوين وابن مصرف وقرأ أبو بكر عن عاصم ويحيى بن وثاب تنزل الملائكة بضم التاء وفتح النون والزاي مبنيًا للمفعول ورفع الملائكة على النيابة عن الفاعل وقرأ الحرميان وباقي السبعة تنزل الملائكة بفتح التاء والزاي على أن الأصل تتنزل بتاءين إحداهما تخفيفًا ورفع الملائكة على الفاعلية وإبقاء الفعل على ظاهره أولى من جعله بمعنى تنزل الثلاثي وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما ما نزل ماضيًا مخففًا مبنيًا للفاعل ورفع الملائكة على الفاعلية والبيضاوي بنى تفسيره على أن الفعل ينزل بالياء التحتية مبنيًا للفاعل وهو ضمير الله تعالى والملائكة بالنصب على أنه مفعوله واعترض عليه أنه لم يقرأ بذلك أحد من العشرة بل لم توجد هذه القراءة في الشواذ وهو خلاف ما سلكه في تفسيره ولعله C تعالى قدسها وهذا الكلام مسوق منه سبحانه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم جوابًا لهم عن مقالته المحكية وردًا لاقتراحهم الباطل الصادر عن محض التعصب والعناد ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن أولها أعني قوله سبحانه : أنا نحن الخ والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح بأن يقال مثلًا ما تأتيهم بهم للإيذان بأنهم قد أخطأوا في الاقتراح وأن الملائكة لعلو رتبتهن أعلى من أن ينسب إليهم مطلق الإتيان الشامل للانتقال من أحد الأمكنة المتساوية إلى الآخر منها بل من الأسفل إلى الأعلى وأن يكون مقصد حركاتهم أولئك الكفرة وأن يدخلوا تحت ملكوت أحد من البشر وإنما الذي يليق بشأنهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل قاله شيخ الإسلام .

وقيل : لعل هذا جواب لما عسى أن يخطر بخاطره الشريف E حين طلبوا منه الإتيان بالملائكة من سؤال التنزيل رغبة في إسلامهم فيكون وجه ذكر التنزيل ظاهرًا وهو غير ظاهر كما لا يخفى .

إلا بالحق أي إلا تنزيلاً ملتبساً بالوجه الذي اقتضته الحكمة فالباء للملابسة والجار والمجرور في موضع صفة للمصدر المحذوف مستثنى استثناءً مفرغاً وجوز فيه الحالية من الفاعل والمفعول وجوز أبو البقاء أن تكون الباء للسببية متعلقة بنزل وإليه يشير كلام ابن عطية الآتي إن شاء الله تعالى والأول أولى ومقتضى الحكمة التشريعية والتكوينية على ما قيل أن تكون الملائكة المنزلون بصور البشر وتنزيلهم كذلك يوجب اللبس كما قال الله تعالى ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون وهذا إشارة إلى نفي ترتب الغرض وعدم

النفع في ذلك وقوله تعالى : وما كانوا إذا منظرين .

8 .

- إشارة إلى حصول الضرر وترتب نقيض المطلوب وكأنه عطف على مقدر يقتضيه الكلام السابق كأنه قيل : ما نزل الملائكة عليهم إلا بصور الرجال لأنه الذي تقتضيه الحكمة فيحصل اللبس فلا ينتفعون وما كانوا إذا أنزلناهم منظرين أي ويتضررون بتحويلهم لأننا نهلكهم لا محالة ولا نؤخرهم لأنه قد جرت عادتنا في الأمم قبلهم أنا لم نأتهم بآية اقترحوها إلا والعذاب في أثرها إن لم يؤمنوا وقد علمنا منهم ذلك والمقصود نفي أن يكون لاقتراحهم الإتيان بهم وجه على أتم وجه بالإشارة إلى عدم نفعه أولا والتصريح بضرره ثانيا وقيل : يقدر المعطوف عليه لا يؤمنون كأنه قيل : ما نزل الملائكة إلا بصور البشر لاقتضاء الحكمة ذلك فلا يؤمنون وما كانوا إذا منظرين وفي النفس من هذا ومما قبله شيء .

وقال بعض المحققين : إن المعنى ما نزل الملائكة إلا ملتبسا بالوجه بحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه